

منفعة التواصي بالخير



الوصية هي العهد بأمر من الأمور، كي يفعل، مما فيه صلاح عند الموصى. ووصاوه بالشيء: رغب إليه في أن يفعله، وأوصاوه بذلك: عهد إليه به، وتواصى القوم: أوصى بعضهم بعضاً، والوصية تقترب في العادة بوعظ لكي يحبب قائل الوصية من يوصيه في عمل الخير. والتوصية في الميراث هي ذكر ما يراد فعله في المال والقرابة بعد الموت. وفضيلة التواصي بالخير تفيد أنّ صاحبها قد تعود أن يتقدم بالنصيحة أو وصية الخير إلى مَنْ يحتاج إليها، أو مَنْ يطلبها، وهو مع هذا قد تعود أن يتطلب من غيره أن يوصيه وينصحه ويوجهه، وبذلك يكون الإنسان ناصحاً ومنصوباً، موصياً وموصى إليه، وبذلك تتحقق فضيلة التواصي بالخير، لأنّ التواصي معناه أن يوصى بعض القوم بعضاً، أي هم يتبادلون الوصية، فكلّ منهم معطٌ وآخذ. وأساس فضيلة التواصي بالخير أن يكون التذكير بالخير، والتدبّر إليه، فتكون الوصية بما هو خير شائعة فيه ذاتئعه، ومن وراء شيوخها يكون هناك تبادل للوصية، فيتحقق التواصي بالخير. وهناك مَنْ يقبل الوصية ويستجيب لها، وهذه منزلة من الخير محمودة، وهناك مَنْ يحرض على بذل الوصية لغيره، وهذه منزلة أخرى من الخير محمودة، والأكميل الأفضل هو أن يتقبل الإنسان النصيحة المخلصة ويعمل بها، وأن يبذل الإنسان النصيحة المخلصة لغيره. فذلك جمع بين الحسنيين، وكأنّ الاستجابة للوصية الإلهية هي مفتاح العقل والم بصيرة، وباب التذكرة المرشد المسعد، وسبب التقوى المنجية المعلية. وفي سورة العنكبوت: (وَوَصَّيْنَا إِلَيْسَانَ بِوَالصَّلَامِ وَالرَّكَاءِ حُسْنَدًا) (العنكبوت/8). وفي سورة مريم على لسان عيسى: (وَأَوْصَيْنَا إِلَيْهِ مُوسَىٰ وَأَنَّ الْمُؤْمِنَاتِ مَا دُمْتُ حَيَّاً) (مريم/31). والتوصية بالخير من سن الأنبياء وعادة المرسلين، ولذلك يقول القرآن الكريم في سورة البقرة: (وَوَصَّىٰ بِهِمَا إِبْرَاهِيمَ بَنَدِيْهِ وَيَعْقُوبُ بَنَادِيْهِ إِنَّ اللَّهَ اصْطَافَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (البقرة/132). الصبر هو العنصر الضروري للإيمان بصفة عامة، ولاقتحام العقبة بصفة خاصة، والتوصي به يقرر درجة وراء درجة الصبر ذاته: درجة تماسك الجماعة المؤمنة، وتوصييها على معنى الصبر، وتعاونها على تكاليف الإيمان. فهي أعضاء متباوة الحس، تشعر جميعاً شعوراً واحداً بمشقة الجهاد لتحقيق الإيمان في الأرض وحمل تكاليفه، فيوصي بعضها بعضاً بالصبر على العيادة المشتركة، ويثبت بعضها بعضاً فلا تخاذل، ويقوى بعضها بعضاً فلا تنهمز. وهذا أمر غير الصبر الفردي، وأن يكن قائماً على الصبر الفردي، وهو إحياء بواجب المؤمن في الجماعة المؤمنة، وهو ألا يكون عنصر تخذيل، بل مهبط طمأنينة. وكذلك التواصي بالمرحمة، فهو أمر زائد على اقتحام، ولا يكون مثار جزع، بل مهبط طمأنينة. وفروع التواصي بالمرحمة، وهو أمر زائد على المرحمة، إنّه إشاعة الشعور بواجب التراحم في صفو الجماعة عن طريق التواصي به، والتحاض عليه، واتخاذه واجباً جماعياً فردياً في الوقت ذاته، يتعارف عليه الجميع، ويتعاونون عليه الجميع. فمعنى الجماعة قائم في هذا التوجيه، وهو المعنى الذي يبرزه القرآن كما تبرزه أحاديث رسول الله (ص)، لأهميته في تحقيق حقيقة هذا الدين، فهو دين جماعة، ومنهج أُمّة، مع وضوح التبعية الفردية والحساب الفردي فيه ووضحاً كاماً. وأن تخضع لهذا الحقّ فتتبعه وتتمسك به وندافع عنه، وأن نخلص أخيراً في

هداية غيرنا إلى طريقه، لأنَّ الإيمان لا يكمل إِلَّا إذا أحب المؤمن لأخيه ما يحبه لنفسه. وتواصوا بالصبر، والصبر ملكة صاحبها يتحمل ما يشق احتماله، وأن يتحمله دون شكوى، والصبر أنواع، فهناك صبر على الطاعة، وصبر على المعصية، وصبر في طلب العلم، وصبر في الإعداد، وصبر في الجهاد، وصبر على تبعات الواجب، وصبر في تعليم الغير، وصبر عند الغضب، وصبر ضد شهوات النفس، وهكذا. ويلزمنا حين نوصي بالصبر أن نصح معنى الصبر، وأن نؤمن بأَنَّه طريق الفوز، وأن يخلص كلَّ منا في نصيحة أخيه بالتزام الصبر. فهو لا يكتفي بصلاح نفسه، بل ينقل الخبر إلى أخيه في الإسلام. فمن خلال لفظ "التواصي" ومعناه وطبيعته وحقيقة تبرز صورة الأُمّة أو الجماعة المتضامنة، الأُمّة الخيرة الوعائية القيمة في الأرض على الحق والعدل والخير، وهي أعلى وأنفع صورة للأُمّة المختارة، وهكذا ي يريد الإسلام أُمّة الإسلام، هكذا يريدها أُمّة خيرة واعية قائمة على حراسة الحق والخير، متواصية بالحق والصبر، في مودة وتعاون وتأخ تنضح بها كلمة التواصي في القرآن. ألا ما أجمل المجتمع حين تعمه روح التواصي بالخير، ويشيع فيه توجيه النصيحة المخلصة، وتقبل الوصية النافعة. إنَّه مجتمع الإسلام والإيمان، وموطن الرضى من الرحمن.